

الرحلة جنس أدبي

The Journey is a literary genre

جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم مجاهد بلعربي

medjahed.belaribi.etu@univ-mosta.dz

ميلود عبيد منقور جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم

miloudabidmankour@yahoo.com

تاريخ النشر: مارس 2023	تاريخ القبول: 2022\04\17	تاريخ الإرسال: 2022\01\30
------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تطمح هذه الورقة البحثية لإلقاء الضوء على أدب جديد من حيث الشكل والمضمون، قديم قدم أول نص أدبي قد دون يحكي قصة سفر، أو ما شابه ذلك عرف "بأدب الرحلة"، والجانب الذي نريد إضاءته من خلال هذا البحث هو قضية أرقت النقاد، والأدباء، وهي قضية تجنيس الرحلة، وقضية التجنيس في عمومها قضية شائكة لطالما غص الطرف عنها لغموض مفاهيمها... لكن ليس من المستحيل أن نحاول بما توفر لدينا من أقوال، وأراء علماء أكفاء أن نجيب على إشكالية هذا البحث والمتمثلة في: هل نص الرحلة جنس أدبي؟ أم مجرد كتابات إنسانية كتبها أصحابها على شكل يوميات ومذكرات، وهي بعيدة كل البعد عن دائرة الأدب؟. هذه بعض من إشكالات البحث التي نطمح أن نقدم جوابا لها يرضي القراء.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلة، التجنيس، جنس أدبي، تجنيس الرحلة، الرحلة جنس أدبي.

Abstract:

This research paper aspires to shed light on new literature in terms of form and content, an old one that presented the first literary text without telling a travel story, or something similar that was known as "travel literature", and the aspect that we want to highlight through this research is an issue that has plagued critics and writers, It is the issue of naturalization of the trip, and the issue of naturalization in its entirety is

a thorny issue that has always turned a blind eye to the ambiguity of its concepts ... But it is not impossible to try, with what we have of the sayings and opinions of competent scholars, to answer the problem of this research, which is: Is the text of the trip a literary genre? Or are they just human writings written by their owners in the form of diaries and diaries, which are far from the circle of literature? These are some of the research problems that we hope to provide an answer that satisfies the readers.

Key words: . Travel literature, naturalization, literary sex, flight naturalization, trip literary sex

*** **

1 مقدمة:

قضية التجنيس، أو نظرية الأجناس الأدبية من أعقد النظريات التي عرفتها الساحة الأدبية، ويعد الخوض فيها من الأمور العسيرة والشائكة، بل مغامرة كبرى ؛ لصعوبة موضوعها، واتساع أفاقها ومجالها، وتشعبها، وغموض مفاهيمها، وهي نظرية حيّرة النّقاد والمتخصّصين قديما وحديثا، حتى أنّنا نرى منهم من يتحاشى الكلام عن كذا نظرية، ويرى أنّ الخوض فيها ضرب من المحال، لأنّ معالمها لم تتضح بعد، وأنّ الأدب ذو طبيعة مرنة قابل لاحتواء العديد من الأجناس، ثم صهرها في بوتقة واحدة، وبالتالي عدم وضعها تحت جنس نقي واحد، وغيرها من الفرضيات التي ليس لها أساس متين تبني عليه، ولا دليل منطقي تستأنس به...عموما هذه حوصلة موجزة عن ما أبداه علماء الأدب والنّقاد عن هذه النظرية، وفي الجهة المقابلة من حاول أن يكسر هذا الحاجز ويخوض غمار هذه النظرية.

لكن هذا الكلام والآراء ليست قطعية، وكل له رأيه وأنا أحترمه، بل هذه الصعوبة كانت لي حافزا لأخوض مثل هذه المغامرة وأدلوها بدلوي في هذا الموضوع، ومما وقع عليه اختياري هو : إثبات بأنّ الرحلة جنس من الأجناس الأدبية، وأقول جنس لإيماني الكبير بجنسيته، لو جود مقومات كثيرة تدعم رأيي لعلها أقواها بنية السّفر الطاغية عليه، أضف إلى ذلك كثرة من قالوا بجنسيته حتى ولو أنهم لم يعللوا كلامهم، يكفي أنهم من أئمّة الصنعة والأدب نحو : الموافي، وفؤاد قنديل، وسعيد يقطين، وأمثالهم كثيرون، والإشكالية التي أجيب عنها مفادها : هل

الرحلة جنس أدبي؟ أم هي مجرد كتابات إنسانية لا تصنف في خانة الأدب؟ هذه الأسئلة التي أثارت فضولي وحركت حب المعرفة لدي عسى أن أهتدي لجواب شاف وكاف يرضي القراء.

انتهجت خطة بسيطة لمقالتي هذا رأيها أنجع هي -بعد مقدمة أمهد بها لهذا البحث- قمت أولاً بتقديم مفاهيم لمصطلح الجنس/التجنيس، ومصطلح الرحلة بإيجاز، ثم انتقلت لإثبات جنسية الرحلة، وعرض أقوال من قالوا بجنسية هذا النوع من الكتابات، وفي الأخير خاتمة هي بمثابة عصارة لما توصلنا إليه، مستعينا في ذلك بخطوات المنهج الاستقرائي تارة، والمنهج الوصفي تارة أخرى؛ لأنهما الأنسب لمثل كذا دراسة، مع وجود محطات يسيرة للمنهج التاريخي.

2. الحمولة المفهومية لمصطلح الجنس: معنى الرحلة في المعاجم العربية:

1. 2 التحديد اللغوي لمصطلح جنس:

وردت لفظة جنس في المعاجم العربية بمعنى المماثلة، والموافقة، والمشابهة... وغيرها من الألفاظ التي تحمل معنى أنّ هذا الشيء شابهها هذا الشيء ومائله في العديد من الصفات أو الخصائص. فهذا صاحب لسان العرب يرى أنّ "الجنس ضرب من كل شيء الجمع أجناس، وجُنوس، والجنس أعم من النوع، ومنه المجانسة، ويقال هذا يجانس هذا أي يُشاكله."

¹ كما جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة في معنى لفظة "جنس" قول المؤلف: تجانس الشئان تماثلاً، اتحدا في الجنس والصفات، وتجنست الأشكال بمعنى تماثلت، وجانسه: شاكله، ومائله، وتجانس تألف وتوافق...

ويرى أنّ لفظة جنس المفردة، التي تجمع: أجناس هي طبقة في التصنيف فوق النوع مباشرة في عموميتها. ولتوضيح كلامه يضرب لنا أمثلة منها: الحيوان جنس، والإنسان نوع. و الليمون جنس أشجار لها أنواع كثيرة.² بالإضافة إلى ما يحمله هذا المصطلح من معاني، ودلالات تنتهي لحقل دلالي واحد، بمعنى المشابهة لدرجة المطابقة. نضرب مثالا آخر لتقريب الفكرة أكثر من القراء:

جنس الحيوان : يضم نوع الإنسان، من صفاته أنه : يتنفس يأكل ويشرب، وينام، ويتعارك، ويمرض، يتناسل ويتكاثر، له غريزة، له عقل يفكر به... وغيرها من الصفات التي يتميز بها عن نوع آخر من جنسه مثلا : نوع الخروف فالخروف نوع من الحيوانات لها صفات تشبه صفات الإنسان مثل : الأكل، والشرب، والتنفس، والغريزة، المرض، والتناسل، والتوالد... لكن يختلفان كون الأول له عقل يفكر به، ويميز به، ويبدع به، والذي استطاع أن يوجد لنفسه به نظاما راقيا، وأكثر حضارة عن الأنواع الأخرى من الحيوانات سواء من حيث المسكن، أو اللباس أو الطعام، وغيرها من متطلبات الحياة .

2.2. مصطلح "جنس" في الاصطلاح العام:

هو حسب قول الناقد الغربي (إيف ستالوني) : " صورة من صور التعدد، فلكي يكون الجنس لا بد من انضمام، قائم على معايير المشابهة، لعناصر فردية عددها غير محدود إلا أنه ينبغي أن تكون فيه كفاية." ³ من خلال القول نفهم أنّ الجنس هو عملية انضمام لمجموعة من العناصر الفردية أو الأنواع تحت لفظ عام يجمعها، بشرط وجود معايير نحتكم إليها تقوم في مجملها على المشابهة . ولتوضيح الفكرة أكثر نستأنس بقول الباحث (خالد بوزياني)، الذي يعد خلاصة ما انطبع في ذهنه عن مفهوم "مصطلح الجنس" يقول : " هو عبارة عن لفظ كلي ذاتي، تندرج تحته أسماء كلية، وموجودات تسمى أنواع." ⁴ والمفهوم من كل هذا أنّ عملية التجنيس عملية تصنيفية وتنظيمية لموجودات متناثرة، ومتفرقة هنا وهناك، تحت لفظ كلي يجمعها كونها تشترك في الكثير من الصفات، والخصائص مما يمكن لنا أن نضمها تحت لفظ واحد نحو: ضم كل من الإنسان، والطيور، والأسماك، والزواحف تحت اسم عام هو (جنس الحيوانات). أما باقي الصفات التي تفرد بها كل نوع هي بؤرة التمييز بين الأنواع، والتصنيف لا يتوقف عند هذا الحد، إذ يمكن عد نوع الطيور جنس أيضا يضم أنواع نحو : طيور ذات المخلب (نوع)، وطيور دون مخلب (نوع) ...، وبالتالي يصبح كل من جنس الطيور تحت لفظ جنس عام هو (الحيوان) وهكذا مع باقي الأنواع الأخرى.

هذا باختصار عن معنى الجنس كلفظ عام . لكن ما يهمنا في هذه العجالة معنى الجنس في الأدب، أو بمعنى أدق "الجنس الأدبي" فما مفهوم الجنس الأدبي ؟.

3.2. مصطلح "جنس" في الأدب والنقد:

يمكن أن نعرفه بهذا التعريف العام الذي جاء به أحد نقاد الغرب هو (كبيدي فارغا/ kibedivarga) : " الجنس مقولة تمكن من ضم عدد من النصوص بعضها إلى بعض بناء على معايير مختلفة".⁵ كما يمكن أن نعرفه بأنه " أحد القوالب التي تصب فيها الآثار الأدبية للمسرحية مثلا : جنس أدبي، وكذا القصة ..."⁶ والمفهوم من القولين هو : أنّ الجنس أحد المعايير التي بفضلها تصنف الإبداعات، والنصوص، انطلاقا من مقوماتها، ونقاط التشابه القائمة بينها .

3.3. الحمولة المفهومية لمصطلح "الرحلة":

3.1 التحديد اللغوي: جاءت مادة [رحل] ومشتقاتها في المعاجم العربية بدلالات تحمل معنى الحركة والتنقل، أو الوسيلة التي ساعدت في فعل الحركة ؛ ففي معجم لسان العرب لابن منظور (ت711هـ) "رحل: الرّحل : مركب للبعير والناقة...قال : والرّحالة : سرج من جلود ليس فيه خشب كانوا يتخذونه للركض الشّديد،...يقال: رحل الرّجل إذا سار ورجل رحول، وقوم رَحَل : أي يرحلون كثيرا، ورجل رَحَال عالم بذلك مجيد له،...ويروي عالم الدّار و التّرحل و الارتحال : الانتقال...والرحلة اسم للارتحال المسير...الرحلة بالضم القوة".⁷

3.2 التحديد الاصطلاحي لمعنى الرحلة/أدب الرحلة: يمكن أن نعرفها بهذين التعريفين العامين اللذين تناولا الخدمة الكبيرة التي تقدمها لنا الرحلة نحن القراء عامة، وصاحبها بخاصة يقول (الموافي) : "الرحلة في جوهرها حركة- وهذه الحركة ذات هدف وإلا كانت سفها – قد يتحقق وقد لا يتحقق، وسيتم في الحالتين كليهما اكتساب خبرات عملية وفكرية ناجمة عن المخالطة، وبذلك يتم التّقابل بين الرّحلة في اللّغة، والاصطلاح حيث يجمعهما أنهما حركة"⁸ والرحلة في جوهرها " لقاء ثقافي أي لقاء ثقافتين".⁹ ثقافتي (أنا) بثقافة الآخر وهو المرتحل إليه. كما يمكن أن نعرفها بأنّها : " ذلك النّثر الأدبي الذي يتخذ من الرحلة موضوعا، أو بمعنى آخر : الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي مميز، وفي لغة خاصة، ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه، وسماته المستقلة".¹⁰ وهذا التعريف وإن أقر بأدبية هذا الجنس، وتفردته عن باقي الأجناس

الأدبية، إلا أنه ضيق في الوقت نفسه من دائرته وجعله مقتصرًا على النثر دون الشعر، لكن الواقع خلاف ذلك؛ فهذا النوع من الكتابة من الجانبين الشعري والنثري، وإن تسيد النثر على الشعر في هذا النوع من الكتابات، وتفوق عليه كمًا وأنواعًا وحتى إقبالًا عليها قراءة ودراسة. وحتى نتمم النقص نقدم مثالًا عن الرحلات التي كتبت نظمًا منها: قصيدة محمد بن منصور العامري التلمساني التي فرغ منها سنة 1162 (هـ)، وصف فيها مراحل رحلته من تازة إلى الحرمين الشريفين، ثم إلى الشام مطلعها:

أزعم السير أن دهر أدواء لشفيع الأنام فهو الدواء¹¹

لعل أوفي وأشمل تعريف وجدته هو: الذي جاء به الناقد الجزائري (عمر بن قينة)، حيث قدّم تعريفًا تناول أهم الجوانب التي تميّز بها هذا الفن عن غيره من الفنون الأدبية يقول: "فن الرحلة لون أدبي، ذو طابع قصصي فيه فائدة للمؤرخ مثل الباحث في الأدب، والجغرافي، وعالم الاجتماع، وغيرهم، كما هو ضرب من السيرة الذاتية، في مواجهة ظروف، وأوضاع، وفي اكتشاف معالم وأقطار، ووصفها والحكم عليها...فهو وصف في النهاية لكل ما انطبع من ذلك وسواه في ذهن الرحالة عبر مسار رحلته."¹²

4. تجنيس الرحلة:

قبل أن ندلل على جنسية الرحلة، وحتى نربط بين الأحداث، نمر بشكل سريع ومختصر للحديث عن قضية الأجناس الأدبية عبر التاريخ بدءًا من أفلاطون، وما هي نظرة النقاد والمتخصصين في هذا المجال، وعرض أهم الآراء التي سبقت حول فن الرحلة وأي الخانات يمكن أن تصنف فيها، وهل هي جنس متفرد بخصائصه النوعية التي تجعله يعد فنا قائمًا بذاته، أم هي مجرد مذكرات ويوميات كتبت لا تخضع لأي تصنيف؟ هذه بعض النقاط التي سنحاول الإجابة عنها بإيجاز في هذه الأسطر.

نظرية الأجناس الأدبية من النظريات الحساسة والشائكة والخطيرة في آن واحد؛ فقد حظيت هذه القضية باهتمام كبير منذ العصور الغابرة، وتعددت فيها المقاربات، وتضاربت فيها

الآراء بدءاً من (أفلاطون)، و(أرسطو طاليس) في كتابه الشهير (فن الشعر) الذي عرف بتقسيمه الثلاثي الملحمي والدرامي والغنائي، بحيث حدد أرسطو الخصائص المميزة لكل جنس من الأجناس، ولزالت هذه القضية المعضلة ترهق من يخوض فيها إلى وقتنا الراهن .

ومفهوم الجنس في الأدب من أشد الأمور استعصاء على التعريف كما يقول (إيف ستالوني)¹³، لكن هذا لم يمنعه من تقديم تعريف يقترب به من هذا المفهوم يقول : "الجنس مقولة تمكن من ضم عددا من النصوص بعضها على بعض بناء على معايير مختلفة".¹⁴ نفهم من القول أنّ النصوص لا يمكن لنا أن نضمها تحت مضلة جنس واحد، حتى تتوفر فيها معايير وشروط معينة وخاصة . وجاء في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لسعيد علوش أنّ "النوع أو الجنس تنظيم عضوي لأشكال أدبية"¹⁵ الملاحظ أن الكاتب جمع بين مصطلح النوع والجنس ؛ مما يدل على أنّ المصطلحين يتقاربان في المعنى فكلاهما يعنيان بتصنيف الأشكال الأدبية التي توافرت فيها خصائص مشتركة . وقد تبنى هذه الفكرة الكثير من النقاد الذين زاوجوا بين المصطلحين في الاستعمال . وكتعريف مبسط لمفهوم عملية التجنيس في الأدب حتى لا نشئت ذهن القارئ ونقع في الاستطرادات، لأن الغاية هنا الحديث عن الرحلة من باب هل هي جنس أم غير ذلك . يعرف صاحباً معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : الجنس الأدبي بأنه "أحد القوالب التي تصب فيها الآثار الأدبية، فالمسرحية مثلاً جنس أدبي، وكذا القصة وهكذا..."¹⁶ الغاية من تصنيف الآثار الأدبية هو فهمها وفهم المعاني الكامنة والمتخفي وراء جدار الكلمات المتسقة وفي هذا الشأن يقول (إيف ستالوني) في الحديث عن الفائدة المرجوة من تصنيف الأعمال الأدبية أنّ من خلالها يتم "استخلاص المبادئ والمفاهيم التي من شأنها المساعدة على فهم النصوص، وإدراك الروابط التي تصل الأعمال بعضها ببعض، والوقوف على الثوابت والفروق عبر العصور، وتعريف المواضع (والخروق) المطردة، ليست تلك أمور اقتطعتها رؤية معيارية للأدب بل وسائل في سبيل تأويليات، والغاية القصوى من كل عمل نقدي، هي قراءة العمل وفهمه، فلا ينبغي إقصاء أية أداة من الأدوات التي تمكن من بلوغها".¹⁷ إذا عملية التجنيس أداة من أدوات فهم الأعمال الأدبية، لها أهميتها في الدراسات النقدية فلا يمكن إهمالها.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: أين تكمن المعضلة التي يتحدث عنها النقاد عند الحديث عن قضية التجنيس؟؛ تجيبنا عن هذه الإشكالية الكاتبة والنّاقدة (ساميا بابا) قائلة: "تعتبر عملية تجنيس وتصنيف النصوص الأدبية من أعقد المعضلات التي يعاني منها الحقل الأدبي، ومرد ذلك صعوبة وضع حدود قارة تفصل بين الأجناس الأدبية، وكذا الحسم في تبويبها داخل خانات أجناسية ثابتة. وعموما يتعذر اتفاق الآراء حول تجنيس النصوص عامة لتداخل الأجناس فيما بينها، وعجز نظريات الأدب في الفصل بينها، ويظهر هذا العجز خصوصا على مستوى تصنيف السير ذاتية."¹⁸ والقول يسفر عن تعريف للتجنيس الأدبي؛ وهو تصنيف النصوص والآثار الأدبية في خانات ثابتة، كما يحدد لنا المعضلة العويصة التي وقفت حائلا بين نقاد الأدب والدارسين في وضع القانون القطعي والآخر لهذه القضية، ألا وهي صعوبة وضع حدود قارة وثابتة تفصل بين الأجناس الأدبية، وبالتالي عجزنا في فصل هذه النصوص بعضها عن بعض، لأن طبيعة النص الأدبي المرنة، تسمح له بأن تسبح في فضائه مجموعة من الأجناس مثل: جنس الشعر باختلاف أغراضه وأشكاله، وجنس المقامات، والأسطورة، والسيرة بشقيها الذاتية وغيرها وجنس القصة وهكذا..." ولعل هذا التداخل هو ما دفع كثير من النقاد إلى الفرار من تحديد الجنس الأدبي الذي ينتهي إليه النص هذا أو ذاك، وأطلقوا على النص مصطلحات أخرى مثل الإنتاج الأدبي أو العمل الأدبي أو الأثر الأدبي، وقد يستعاضون عن تسمية الجنس بذكر النص أو الخطاب "...¹⁹ هنا المشكلة فالفرار لا يزيد الطين إلا بلة، والمشكلة تعقيدا، فلا بد علينا كنقاد أن نتصدى لكذا مشاكل والبحث عن الحلول الناجعة؛ فلكل مشكلة حل مهما بلغت صعوبتها. فإن كان حزب من هؤلاء يعدون تداخل النصوص معضلة ومتاهة ليس لها مخرج، فهناك في الجهة المقابلة حزب ثاني يقلب الموازين ويعد التداخل في النصوص جمالا، وتوسيعا لأفاق النصوص وإثراء لمضامينها وتنوعا. ويمكن أن ننعت مثل هذه النصوص بالنص الجامع لما حواه من ككتال من النصوص المتنوعة والمختلفة "لأن فيها شيء من الرواية وشيء من القصة وشيء من الرسائل هذا فضلا عن المقامة، وهذا ما يسوغ الزعم بأن هذا النص نص استثنائي يتخطى قواعد التصنيف..."²⁰ ومنهم من يصف مثل هذه النصوص التي تأتي عن التجنيس بالنص الفائق.²¹ لكل عصر علماءه البارزين، كما لليونان شيخ للعلوم والفلسفة، لنا نحن في عصرنا الحديث شيخ جليل هو (سعيد يقطين)، الذي سار

على خطأ (أرسطو طاليس) محاولاً تقديم تقسيم ثلاثي للأجناس على غرار شيخه أرسطو؛ بحيث يمثل تصور شامل تنضوي تحته كل الأجناس، مع مراعاة خصائص كل جنس والمبادئ المنطلق منها. وهذا التقسيم هو كالآتي: الشعر والحديث والخبر حيث قال: بأن كل كلام العرب يدخل بهذا الشكل أو ذاك ضمن هذه الأجناس. وبعد تحديده لأجناس الكلام ينتقل إلى تحديد الأنواع وهي كالتالي:

الأنواع الثابتة: نقصد بها الأنواع الأصول وهي الأقرب إلى الأجناس، أدرج تحتها الخبر، الحكاية، القصة، السيرة.

الأنواع المتحولة: وهي الأنواع الفرعية... وعلى سبيل المثال: الحكاية نوع أصلي، لكن حكاية الصالحين نوع فرعي.. وهكذا.

الأنواع المتغيرة: على حد تعبير يقطين هي: الأنواع المختلطة، ويمكن أن ندخل ضمن هذه الأنواع كل من قصص الحيوان (كليلة ودمنة)، والرحلة التي يراها البعض سيرة ذاتية، والبعض الآخر قصة، والآخر تاريخاً أو جغرافياً، ويكمن هذا الاختلاط في كونها تضم مقومات جنسين مختلفين، أو مكونات أنواع مختلفة.²²

من خلال ما سبق يمكن وصف الرحلة بالنص الجامع، أو الجنس المختلط، أو النص الفائق، أو من النصوص الأكثر جمالاً وذلك لتعدد الأجناس المتمثلة فيها²³... لما تضمّنته من أجناس أخرى تتفاوت من نص لآخر حسب ما تمليه الظروف المحيطة بصاحب الرحلة. كما يمكن أن نقول في هذا الصدد أنه من غير الممكن وجود نص نقي وخالي من تداخل الأجناس، ولا سيما في نصوص الرحلة القديمة كرحلة ابن بطوطة وابن جبير ورحلة الورثيلاني... وبعد هذه النتيجة الحتمية التي وصلنا إليها؛ وهي عدم وجود نظرية قاطعة تقول: بأن نص الرحلة جنس أدبي بفضل مقوماته التي تبيّن له الأساس المتين الذي يقوم عليه، وتقطع الشك في كونه جنساً أدبياً قائماً بذاته. يسفر هذا التضارب في الآراء والاختلاف في الرؤى حول كون الرحلة جنس؛ إلى ظهور فريقين: فريق يقول بأن الرحلة جنس أدبي، وفريق يقول بأن الرحلة ليست جنس أدبي. لكن ما يهمنا في هذه العجالة هو آراء وتصريحات الذين قالوا: بأن الرحلة جنس

أدبي من علماء الأدب والتّقد وبعض الباحثين النّاشطين، وهم كثيرون . نورد بعضهم على سبيل الذكر لا الحصر :

- فؤاد قنديل : وهو كاتب وناقد معروف له إسهامات عديدة في أدب الرحلة منها: كتابه المعروف ب(أدب الرحلة في التراث العربي) وفيه تصريح مباشر بأنّ الرحلة جنس أدبي ؛ ودليل ذلك يظهر من خلال كتابه المذكور أنفا، حين تكلمنا عن المنهج الأنسب لدراسة أعمال السلف، وخاصة رحلاتهم المدونة، أو ما يعرف بأدب الرحلة ؛ ليصل إلى تحديد الفترة الزمنية والذهبية التي نشطا فيها هذا النوع من الدراسة، والتي وصفها بالمرحلة الأولى والعظيمة في مسار هذا الجنس الأدبي، وهنا بيت القصيد يقول قنديل : " وهذه هي المرحلة الأولى والأعظم في مسار ذلك الجنس الأدبي..."²⁴

شعيب حليفي : بعد حديثه عن صعوبة إعطاء تعريف محدد وموحد عن الرحلة ؛ والذي يرجعه إلى التراكم الذي أدى إلى تنوع أشكال الرحلة وتشكيلها الفني، والقيمات الموجهة ؛ يعلن بأنّه " الأمر الذي يقود إلى الحديث عن الرحلة باعتبارها جنسا مؤطرا بعناصرها ومكوناتها..."²⁵، وفي موضع آخر يذكر بأن الرحلة جنس أدبي، وذلك حين قام بطرح تساؤله المتعلق حول : "لماذا تلاشى جنس الرحلة مثل غيره من الأشكال السردية (التراثية)."²⁶

كمال بولعسل : صاحب كتاب (رحلة أبو حامد الغرناطي -دراسة في فضاء الرحلة)، يجيب على من يعتبر الثراء الذي يميز نصوص الرحلة، والروافد والمتنوعة كجنس السيرة الذاتية وكنس القصة والمقامات..التي شكلت بنية معظم هذه النصوص عائقا أمام تصنيفها في خانة الأجناس قائلا : "وإنّ هذه النصوص تعد هجينة في هذا الجنس الأدبي حيث يخترقه عدّة تخصّصات وممارسات فكرية."²⁷ أي أنّ الأجناس المتوافر في نص الرحلة الواحدة، على اختلافها ؛ طوعت لخدمت الرحلة كنص لإثراء مضامينه، وتوسيعه آفاقه .

عبد الرحيم مؤدّن : من أنصار الرأي الذي يقول بأنّ الرحلة جنس أدبي قائم بذاته، يقوم على محكي السفر: ويظهر هذا كله في هذا القول : "والرحلة جنس أدبي يقوم على محكي السفر."²⁸ وفي كتاب آخر من كتبه يواصل في تأكيد هذه الفكرة والتي مفادها أن مكون السفر لا ينفصل

عن "باقي مكونات الرحلة من فضاء وشخصية وصيغ سردية، وتميّز الرحلة عن نصوص أخرى، استندت بدورها إلى السّفر، يتجسد في تحويل هذه المكونات إلى خصائص مميزة لنص الرحلة عن غيره مما يجعل من النص -نص الرحلة- جنساً أدبياً قائماً بذاته." ²⁹؛ والمراد بذلك أنّ كل نص رحلي لابد وأن يقوم على بنية السفر، وبالتالي يكون من مكوناتها الأخرى من فضاء وشخصيات وصيغ سردية. ولتصنيف مثل هذه النصوص في خانة أدب الرحلات لابد أن تتوفر فيها خصائص نوعية يتفرد بها عن سواها، وهي التي سماها إيف ستالوني بالبنية المهيمنة يقول: "ينتسب عمل إلى جنس بعينه متى كانت مهيمنة فيه كافية سمات خاصة بذلك الجنس." ³⁰ والبنية المهيمنة على النصوص الرحلة هي دون شك السفر؛ لكن هنا يجب أن ننبه على أمر خطير هو أن تكون النصوص نابعة من بنية السفر، وليست تيمة أو موضوعية فيه، فالنصوص على اختلافها تتحدث عن السّفر، وهذا ما أكدّه الناقد عبد الرحيم مودن حين قال: "فالرحلة أو النص المنتمي إلى أدب الرحلة يجب أن يكون نابعا من بنية السفر قبل أن يكون نابعا من موضوع السّفر الذي قد يتوفر في العديد من النصوص سواء انتمت إلى المتن الرحلي أو لم تنتم إليه." ³¹ إذا كل نص رحلي يجب أن تتوفر فيه خصائص نوعية تميزه عن سائر النصوص السردية الأخرى أهمها بنية السفر.

العلوي بن سعيد: وهو صاحب كتاب (أوربا في مرآة المرحلة) من أنصار الرأي أيضا يقول: "تشكل الرحلة جنساً أدبياً يتسم بالطرافة متى قورنت بالأجناس الأدبية الأخرى، ويمتاز بجمعه بين الإفادة والإمتاع." ³²

عواطف محمد يوسف نواب: وهو صاحب رسالة الماجستير (الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين -دراسة تحليلية مقارنة- هو من الباحثين المنافحين عن هذا النوع من الكتابة، وإن لم يصرح بلفظه، لكن يكفي بوصفه بالفن القائم بذاته، مع التحديد في نفس الوقت الشروط الأساسية التي لابد من توافرها في مثل هذه الأنواع من الكتابات، من تاريخ الخروج والوصول مع إعطاء لمحة وافية عنها... ³³

عيسى بخيتي: صاحب رسالة الدكتوراه الموسومة ب: (أدب الرحلة الجزائري الحديث) من الباحثين النشطين في هذا النوع من الدراسة، ومن مؤيد فكرة الرحلة جنس أدبي، ويظهر ذلك من خلال تصريحاته العديدة التي وردت في أطروحته وبصريح العبارة، ولعل أول هذه العبارات (الجنس الأدبي الرحلي) و(جنس الرحلة)³⁴

جميلة روباش : صاحبة الأطروحة الموسومة ب: (أدب الرحلة في المغرب العربي) تقول بنص العبارة أن " الرحلة من بين الأجناس الأكثر ثراء وغنا، وانفتاحا، وتعددا للأصوات، والخطابات، ومن أكثر تجارب العالم الخارجي تعقيد.³⁵

حطاب طانيا : من الباحثات الناشطات اللواتي أدلين بدلوهم في هذه المسائل النقدية الشائكة، ودون تردد بدراية أو دون دراية تؤيد فكرة -أن الرحلة جنس أدبي - ؛ وذلك عندما تكلمت عن المصادر التي تستقي منها الرواية مادتها و تتعالق معها في نفس الوقت، والتي وصفتها بالأجناس ؛ وهي : (السيرة الذاتية، أدب الرحلات، والأسطورة).³⁶

أظن أن في هذا القدر كفاية على إثبات أن الرحلة جنس أدبي، وأنا من أنصار هذا الرأي، والأمور التي جعلتني أسير في طريق هؤلاء الباحثين والنقاد، أجل الحديث عنها في خاتمة البحث إن شاء الله تعالى. لكن لكل شيء مقابل وضد، ومخالف، يخالف ما ذهب إليه هؤلاء، لأن طبيعة الأدب تقتضي ذلك، لأنها ليست أمور دقيقة يفصل فيها فصلا قطعيا، فلولا الاختلاف لما كان النقد أصلا نذكر من هؤلاء النقاد (الموافي ناصر عبد الرزاق، و حليفي شعيب) لكن لا داع لذكر أقوالهم حتى لا يعد من قبيل التناقض أو التنويه بأقوال المعارضين، لأن لي قناعة بأن الرحلة جنس أدبي بامتياز على غرار جنس الرواية ؛ فدافعت عن هذه القضية بما ظننته أنسب من أراء من أعتز بهم من النقاد الكبار، والباحثين المرموقين، وأصحاب الرأي الراجح والواضح في الساحة الأدبية .

5. الخاتمة:

عملية تصنيف النصوص، أو نظرية الأجناس الأدبية من القضايا العسيرة، يعد الخوض فيها ضرب من المحال، لأن مفاهيمها مازالت غامضة، وملتبسة، وذلك يرجع حسب قول الكثير من النقاد، والأدباء إلى طبيعة الأدب المرنة التي تقبل ودون أي إشكال بتمازج النصوص، وتداخلها داخل الأثر الأدبي، وبالتالي صعوبة الفصل بين تلك الأجناس... ولعل أكثر الأجناس التي احتار العلماء في تصنيفها، وإيجاد لها خانة تصنف فيها هما: جنسي الرواية، والرحلة.

الرحلة لون أدبي يقوم على محكي السفر، له طابع سردي قصصي، لأن الرحال يسرد لنا أحداث، ووقائع حدثت معه أثناء سفره أثارة إعجابه، أو سخطه أبا إلا أن يطلعنا عليها في أسلوب شائق تتخلله الإثارة

والرحلة كما هو معلوم تتسع أفاقها، وتنوع معارفها، والعلوم التي تصب في محتواها. فهي تضم: الأخبار التاريخية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والجغرافية، ومن الشعر، والنثر (الخطب، مقامات، رسائل...)، وهذا التنوع والتعدد، هو ما دفع النقاد، وعلماء الأدب يستصعبون تصنيفها في خانة أجناسية خاصة بها وثابتة. لكن رغم كل الصعوبات التي واجهت هؤلاء، إلا أنهم قالوا بجنسية الرحلة، وعلى رأسهم شيخ النقاد سعيد يقطين الذي وجد لها خانة خاصة بها هي خانة الأجناس المتغيرة أو المختلطة،

الرحلة جنس أدبي على غرار الأجناس الأدبية الأخرى -الرواية، المقامة- يقوم على بنية السفر دافع عن قضية تجنيس الرحلة العديد من النقاد، والأدباء منهم: سعيد يقطين، وفؤاد قنديل، عبد الرحيم مودن، وعيسى بخيتي... وغيرهم كثير. وهذه الكثرة دليل قطعي على جنسية أدب الرحلة.

6. الهوامش:

- ¹ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 2004، مادة (جنس)، ص 215
- ² - ينظر أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج1 نشر وتوزيع عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م، ص 404، 405
- ³ - إيف ستالوني: الأجناس الأدبية، تر: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2014م، ص 21
- ⁴ - خالد بوزياتي، الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية بين البلاغيين، والأسلوبيين، أطروحة دكتوراه، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2006م-2007م، 62
- ⁵ - إيف ستالوني: الأجناس الأدبية، تر: محمد الزكراوي، ص 25
- ⁶ - مجدي وهيب، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ساحة ريان الصلح، بيروت، ط2، 1984م، ص 141
- ⁷ ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مج 11، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت، مادة [رحل] ص 274، 280
- ⁸ ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، ط1، 1415/1، 1995، ص 25
- ⁹ عزت قرني: رحلتان، فصول مجلة النقد الأدبي، مج 5، ع 4، يوليو، أغسطس، سبتمبر، 1985م الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 119
- ¹⁰ - سيد حامد النّساج: مشوار كتب الرحلات (قديمًا، حديثًا)، دار غريب للطباعة، الفجالة، القاهرة، دط، دت، ص 5
- ¹¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 402
- ¹² - بن قينة عمر: في الأدب الجزائري الحديث تاريخًا وأنواعًا وقضايا وأعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995م، ص 97
- ¹³ ينظر إيف ستالوني، الأجناس الأدبية: تر: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2014، ص 8
- ¹⁴ - المرجع نفسه، ص 25
- ¹⁵ - سعيد علوش، المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 223
- ¹⁶ - مجدي وهيب وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1984، ص 2، 141
- ¹⁷ - إيف ستالوني، الأجناس الأدبية، تر: محمد الزكراوي، ص 239
- ¹⁸ - ساميا بابا، مكون السيرة الذاتية في الرواية 'حكايتي' شرح يطول لحنان الشيخ، جامعة الجزائر، ط1، 1433هـ/2012م، ص 21
- ¹⁹ - إبراهيم عبد الفتاح رمضان، التناص في الثقافة العربية المعاصرة -دراسة تأصيلية في بليو غرافيا المصطلح-، مجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات الإسلامية والعربية، ع5، محرم 1435هـ، نوفمبر 2013، ص 199
- ²⁰ - بحري نصيرة، أدب الرحلة في الجزائر، 'عبد الرزاق بن حمادوش أنموذجا' رسالة ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2014م/2015م، ص 6
- ²¹ - ينظر في نظرية الأدب وعلم النص -بحوث وقراءات- الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 2010م، ص 23
- ²² - ينظر سعيد يقطين، الكلام والخبر -مقدمة للسرد العربي-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997م، ص 193-
- ²³ ينظر إبراهيم عبد الفتاح رمضان، - التناص في الثقافة العربية المعاصرة -دراسة تأصيلية في بليو غرافيا المصطلح، مجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات الإسلامية والعربية، ص 199
- ²⁴ - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي:، ص 07

- 25 - شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي - التجنيس آليات الكتابة خطاب المتخيل-، كتابات نقدية، مكتبة الأدب المغربي دط، 2002م، ص40.
- 26 - المرجع نفسه، ص470.
- 27 - بولعسل كمال، رحلة أبو حامد الغرناطي -دراسة في فضاء الرحلة-، نويمديا للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، ص48.
- 28 - عبد الرحيم مؤذن، الرحلة في الأدب المغربي -النص -النوع -السياق، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2006، ص5.
- 29 - عبد الرحيم مؤذن: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر (مستويات السرد)، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط1، 2006، ص29.
- 30 - ايف ستالوني: الأجناس الأدبية: تر: محمد الزكراوي، مر: حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص47.
- 31 - عبد الرحيم مؤذن: الرحلة في الأدب العربي -النص، النوع، السياق، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2006، ص6.
- 32 - سعيد بن سعيد العلوي، أوربا في مرآة المرحلة: صورة الآخر في الرحلة المغربية المعاصرة، دراسات في الأدب الجغرافي دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط1، 2006، ص11.
- 33 - ينظر عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين - دراسة تحليلية مقارنة-، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، دط، 1417هـ/1996م، ص71.
- 34 - ينظر عيسى بخيتي: أدب الرحلة، 8، 9.
- 35 - جميلة روياش، أدب الرحلة في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014م/2015م، ص(ب).
- 36 - ينظر خطاب طانيا: إشكالية التجنيس في الرواية العربية المعاصرة -دراسة نماذج عربية-، أطروحة دكتوراه، جامعة مستغانم (عبد الحميد ابن باديس)، 2010م-2011م، ص(ب).

المصادر والمراجع:

المعاجم العربية:

- 1- أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج1 نشر وتوزيع عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م.
- 2- - مجدي وهيب، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ساحة ريان الصلح، بيروت، ط2، 1984م.
- 3- ابن منظور (محمد ابن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 2004، مادة (جنس)، ص215.

4- ابن منظور الإفريقي (محمد ابن مكرم)، لسان العرب، مج 11، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت، مادة [رحل]

المراجع العربية :

- ¹- سيد حامد النّساج : مشوار كتب الرحلات (قديمًا، حديث)، دار غريب للطباعة، الفجالة، القاهرة، دط، دت .
- 2- ساميا بابا، مكون السيرة الذاتية في الرواية 'حكايتي شرح يطول لحنان الشيخ'، جامعة الجزائر، ط1، 1433هـ/2012م، ص 21
- 3- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي – التجنيس آليات الكتابة خطاب المتخيل-، كتابات نقدية، مكتبة الأدب المغربي دط، 2002م
- 4 - سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت سوشريس الدار البيضاء، ط1، 1405، 1985
- 5- سعيد يقطين، الكلام والخبر –مقدمة للسرد العربي-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997م، ص 193-197
- 6- بولعسل كمال، رحلة أبو حامد الغرناطي –دراسة في فضاء الرحلة-، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع)، الجزائر، دط، دت
- 7- عواطف محمد يوسف نواب : الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين – دراسة تحليلية مقارنة-، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، دط، 1417هـ/1996م،
- 8- عبد الرحيم مودن : الرحلة في الأدب العربي –النص، النوع، السياق، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2006،
- 9- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي ،
- 10- - بن قينة عمر : في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995م
- 11- ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، ط1415، 1995/1، ص25

الكتب المترجمة:

- 1- إيف ستالوني: الأجناس الأدبية، تر: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2014م.

الرسائل الجامعية والمجلات :

- 1 : إبراهيم عبد الفتّاح رمضان، - التناس في الثقافة العربية المعاصرة -دراسة تأصيلية في بليوغرافيا المصطلح، مجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات الإسلامية والعربية .
- 2- بحري نصيرة، أدب الرحلة في الجزائر، 'عبد الرزاق بن حمادوش أنموذجا' رسالة ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2014م/2015م ،
- 3- جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014م/2015م.
- 4- خطاب طانيا : إشكالية التجنيس في الرواية العربية المعاصرة -دراسة نماذج عربية-، أطروحة دكتوراه، جامعة مستغانم (عبد الحميد ابن باديس)، 2010م-2011م.
- 5- خالد بوزياني، الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية بين البلاغيين، والأسلوبين، أطروحة دكتوراه، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2006م-2007م، 62
- ³⁶ - إيف ستالوني : الأجناس الأدبية، تر: محمد الزكراوي .
- 6- عزت قرني :رحلتان، فصول مجلة النقد الأدبي، مج 5، ع4، يوليو، أغسطس، سبتمبر، 1985م الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- 7- عيسى بخيتي : أدب الرحلة الجزائري، سياق النص وخطاب الأنساق، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2015م.